ممدوح رزق
كتمثال يحدّق في حائط
مجموعة شعرية

كتمثال يحدّق في حائط
ممدوح رزق
عرب للنشر والتوزيع
ممدوح رزق
حصل على المركز الأول لجائزة ملتقى مدد في الشعر 2007
تُرجمت قصائده إلى الإنجليزية والفرنسية
ينشر نصوصه وترجماته الشعرية في مطبوعات ثقافية عديدة
صدر له:
بعد صراع طويل مع المرض ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2015
عرب للنشر والتوزيع

كتمثال يحدّق في حائط

مجموعة شعرية

ممدوح رزق

صورة الغلاف لـ Joel Peter Witkin

يدكِ التي ما زالت صغيرة

أحب يدكِ حين ترفعينها للإشارة إلى شيء ما

يدكِ التي ما زالت صغيرة

كقبضة طفل

ترسم نعومتها في الهواء

ما يشبه سهمًا ضئيلًا ...

يدكِ العمياء

التي كانت تشير دائمًا

إلى ذلك القارب الذي ينتظرنا خارج الزمن.

أحب يدكِ حين ترفعينها أمامي الآن

لأنها تذكّرني بروحي العمياء

التي لم تتوقف لحظة واحدة

عن رؤية ذلك القارب الذي كنتِ تشيرين إليه ...

يدكِ التي ما زالت صغيرة

كقبضة طفل

تنحت نعومتها المرتعشة في الهواء

شاهد قبرٍ أكبر بكثير من حجمها

يحوم حوله صمت السنوات الطويلة

الذي لم ينجح في اجتياز الزمن

العابر بين روحينا

كأن الزمن نفسه

لم يكن إلا حطام القارب

الذي لم يتكوّن أبدًا.

طفل ميت

تسخر من كل شيء

لأنك تجهل كل شيء

حيث لا حكمة للألم

يمكنك أن تصدقها.

تسخر من كل شيء

لأنك تأمل في كل شيء

ليس كمن يحلم بعالم أفضل

أو بحياة تعويضية بعد الموت

وإنما كمن يعتقد أن النظر طويلا إلى الغيوم

قد يمحو الحياة والموت.

تسخر من كل شيء

لأنك تتوسل لكل شيء

أن يتلاشى في لحظة ما

ولا يبقى سوى ذاكرتك وحدها

ذاكرة بدون جسد

تحتفظ بأشلاء الآلهة

لتخلق منها إلهًا جديدًا

تربيه في زمنها الخاص

كقط أليف.

تسخر من كل شيء

لأنك الطفل الميت لكل شيء.

شرفات الذاكرة

أثناء المطر الليلي

شرفات بعيدة تُضاء

ليس بفعل أحد

النور الأصفر القديم

ينبعث من تلقاء نفسه

لعيني العجوز فقط

الذي يقف في الجهة الأخرى

داخل شرفته التي لا تُضاء على الإطلاق.

نور أصفر قديم

يعذّب عيني العجوز

الذي يتذكر الآن

أنه لم يستمتع بشيء خارج طفولته

لم يستمتع بشيء أبدًا

ولو مجرد الجلوس داخل شرفة

يضيئها ذلك النور الأصفر القديم.

الشرفات البعيدة

لم ترغب في هذا الليل

سوى أن تخبر العجوز

أنها مثل عينيه

تحدّق هناك بحكم العادة

لكنها لا تستطيع رؤية المطر.

أصل العمى

أشياء بسيطة يمكنك أن تفعلها بداية المساء

وأنت وحدك في البيت:

تأكل برتقالة

تشرب شايًا

تقرأ "المحاكمة" لكافكا ...

الأشياء التي ستجعلك مسكينًا

حينما يعودون إلى البيت آخر المساء

ويجدون قشر البرتقالة

وكوب الشاي الفارغ

و"المحاكمة"

بجوار جثتك.

سيقولون في الساعات اللاحقة:

كم كان طيبًا

لأنه أكل برتقالة

وشرب شايًا

وقرأ كتابًا

ولم يكن يعرف ...

أشياء بسيطة يمكن أن تفعلها كل مساء

كل نهار

لسنوات كثيرة

أمام الجميع

ولا يراك أحد.

الحد الأدنى

هناك من يموت

قبل أن يقبّل امرأة

أو يدخن سيجارة مخمورة أمام البحر

أو يراقب طائرًا في سماء الغروب.

هناك من يموت

قبل أن يزرع نبتة

أو يتسكع تحت المطر

أو يتسلل إلى قصة مصوّرة.

هناك من يموت

قبل أن يجري ضاحكًا في فضاء واسع

أو يمضغ قطعة من الحلوى

أو يصفق له البعض في احتفال ما.

هناك من يموت

قبل أن يكون له أصدقاء

أو أماكن تسكنه ذكرياتها

أو أحلام يحاول رسمها.

هناك من يموت

قبل أن يقرأ "قاعة الرقص الرومانسية"

أو يشاهد The Sound of Music

أو يستمع إلى Autumn Leaves

هناك من يموت

قبل أن يرى أبويه

أو ينجب طفلًا

أو يربي حيوانًا أليفًا.

هناك من يموت

قبل أن يبتسم أحد في وجهه ابتسامة واحدة ...

أولئك الذين عاشوا

الحياة الأسعد حظًا.

زوجة جميلة تقرأ لكاتب رومانسي

هو ليس أفضل منك أو أقل براعة

قراءتي له ليست نكاية بائسة

لامرأة لم تعرف مطلقًا إلا كلمات زوجها

هو مجرد نقيض لك

ناعم .. مراع .. مُرض للتوقعات

أما أنت فتدرك نفسك جيدًا

تتباهى دومًا بالحدة .. المراوغة .. تلغيم الإشباع

حسنًا ...

ربما كان في الأمر انتقام شاحب من الماضي

ثأر منتظر لزوجة تجاوزت الأربعين

من رجل كذب عليها حينما كانا طفلين

بشأن الطريق الذي ستصل من خلاله إلى هذا العُمر

لكن ذلك ليس مهمًا الآن

أنا أحتاج فقط، وأكثر من أي وقت مضى لما يمتلكه

لن أتوقف عن قراءتك

أريدكما معًا

ليس بالتبادل، وإنما في اللحظة نفسها

كإلهين متنافرين

يخلقان تصالحهما الخاص في داخلي

لا أريد سوى أن أجسّد بدقة تامة

القصة التي كتبتها أنت منذ سنوات عن ثلاثتنا

وكنت تظن أنني سأتخيلها فحسب.

كتمثال يحدّق في حائط

من وراء هذه النافذة الزجاجية الكبيرة

التي تطل على الميدان الواسع

رأيت كثيرات يشبهونكِ من بعيد

ملامحك

جسدك

طريقة خطوك

وكلما اقتربت أي منهن

أتأكد أنها سرابك الخبيث

الذي يعرف كيف يكون بصرًا حادًا

أتدركين ماذا يعني هذا

أنكِ لن تدخلي أبدًا من هذا الباب

دون موعد لا أقدر على تبريره

بابتسامتك التي لم تومض خارج مخبئي

منذ ثمانية أشهر ويومين وأربع ساعات

وأنكِ لن تجلسي أمام احتضاري الغافل

الذي جررته من أمام صورتك على شاشة اللابتوب في بيتي

إلى هذا المقعد الذي لم يتحوّل رغم الانتظار الطويل

ومراقبة الموتى

إلى عرش سماوي...

أنكِ لن تقرأي لي قصتك الجديدة

لا لكي أساعدك على إعادة خلقها

مثلما تعوّدت الحياة أن ترسم يقينًا قاصرًا لنا

بل لأكتشف أنها رسالتك المشفّرة

التي ليس بوسعها أن تكون خطابًا عاريًا

يخبرني بأنه إذا كان هذا شتائي الأخير

فإنني أستطيع اختلاس نهايتي داخلك.

أتدركين ماذا يعني هذا أيضًا

أن كل من رأيتهن من وراء النافذة الزجاجية الكبيرة

التي تطل على الميدان الواسع

كانوا حقًا أنتِ.

والخاسر يجب أن يسقط

قبل ثلاثين سنة

كنت أجلس وحدي في شرفة البيت

وأتمنى أن ينقبض الزمن

كي أكون كبيرًا مثلك.

في اللحظة ذاتها

كنت أنت كبيرًا بما يكفي

لأن تجلس وحدك أمام البحر

وتستمع إلى The Winner Takes It All

الآن

أنت في قبرك

حيث لا زمن يمر هناك

وأنا أجلس وحدي أمام البحر

أستمع إلى الأغنية نفسها

مرارًا وتكرارًا

حتى يبدو كأنها ستفيض من أذنيّ

لتُغرق البحر

وبالتأكيد لن أسأل نفسي

من هذا العجوز الذي يعبر أمامي الآن

وينظر لي بتلك الابتسامة الشاحبة.

لحظات الطيران المؤقتة

الكيس البلاستيكي الصغير وهو يرتفع

لا يظن نفسه طائرًا

يعرف أنه لا يزال كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا

وأن الهواء الذي صعد به فوق كل شيء

عدا السماء

لم يمنحه جناحين

أو صوتًا ينادي به على أحد.

يعرف أنه لا يزال مهترئًا ومتسخًا

وأنه سيهوي ثانية دون شك

مع هذا يشعر بالسعادة

حتى يبدو كأنما يضحك بأسلوبه الخاص

ذلك لأن لحظات الطيران المؤقتة

ليست إلا تذكرًا مفاجئًا لحكاية

كان يظن في الماضي البعيد

أنه يفهمها جيدًا

وأنها ستبقى معه للأبد

قبل أن تتساقط منه بالتدريج

كأحلام لا يمكن تفسيرها

بينما يواصل إدراك حقيقته

ككيس بلاستيكي صغير.

أبوكاليبس (قصائد قصيرة)

(1)

في هذه المدينة

إذا أردت أن تتوجّه من بيتك إلى مكان آخر

دون أن تخاطر بفقد حياتك البائسة

عليك الانتظار

حتى تصبح الشوارع خالية تمامًا

لكن ينبغي أن تحذر وقتئذ

من الذكريات.

(2)

ربما سأموت هكذا:

بينما أسير في الشارع

يقترب مني أحد الأشخاص

ثم يخرج سكينًا فجأة

ويطعنني بقوة

من المؤكد أنه سيكون شخصًا لا يعرفني

ولكني أعرفه.

(3)

ما تبقى من بضاعته القديمة

التي لم يبعها للأطفال

لا يزال يتجوّل بها

يقابل الآباء والأمهات

الذين يعرفونه جيدًا

منذ سنوات طويلة

يبتسم لصغارهم

ويمضي سريعًا

قبل أن يفكر أحد في إيقافه.

(4)

ليس هناك تهديد أكثر خطورة للمبصرين

من النظارة السوداء التي يرتديها الأعمى...

ليس هناك تهديد أكثر خطورة للسائرين

من العصا التي يتوكأ عليها

من لا يستطيع المشي وحده...

ليس هناك تهديد أكثر خطورة لهذا الجدار الصلب

الذي لا يشبه جدارًا آخر

من النظرة المنكسرة

في عيني الجثة الممددة أمامه.

(5)

أصبحت منهكًا جدًا

لدرجة أنني لم أعد أرغب في شيء

سوى أن أمضي ما تبقى من حياتي

سواء كان كثيرًا أم قليلا

في النوم المتواصل

الذي لا ينقطع إلا للاحتياجات الضرورية:

الجنس

الأكل

الشرب

قضاء الحاجة

وضع حبات الأرز وملأ طبق الماء فوق سور الشرفة

ثم مراقبة العصافير وهي تأكل وتشرب لثوان قليلة

عبر فتحات الشيش المغلق

بالضبط كمن يتلصص

على قاتله.

(6)

قطة ميتة

وحدها فوق رصيف بارد في الليل

الآن فقط

أصبح هذا الشارع المهجور المظلم

يشبه الحجرة التي غادرتها منذ قليل

دون أن أعرف إلى أين.

(7)

كان يحمل ألمًا

أكثر ثقلا وغموضًا

من أن يسمح لهذه الابتسامة

الملتصقة دائمًا بصمته

أن تتبدد.

(8)

حلمت في طفولتي

أن أكون ـ بالمعنى الحرفي ـ

كاتبًا على كل شيء قدير

أي لا يكون في حاجة لخلق شيء

يمكنه أن يتألم

أو إلى حكمة غيبية

ينتظرها المعذبون

لتفسير الشقاء الغامض

ألا يترك سؤالا ـ مهما كان ـ دون إجابة

وهذا ما يجعله بالضرورة

لا يحتاج إلى خلق أي شيء أصلا

لأنه لن يكون موجودًا.

مكان بعيد لا يجب مغادرته

أكتب نوڤيلا اسمها (رجل مضحك، يجلس في الظلام ويشاهد الماضي).

سأعيد (دوستويفسكي) إلى الحياة

وأقوده لكتابة (حلم رجل مضحك) بطريقة أخرى.

سأكون أنا الرجل المضحك

الذي يحكي قصة اللجلجة التي تنتقل من الجسد إلى النص فيظل (مسودّة)

أما الطفلة المستنجدة واليائسة فستكون ابنتي

وبالطبع لن تصرخ: (أمي .. أمي الحبيبة)

بل ستسألني بعتاب مألوف: (أبي .. لماذا أطلقت ضراطًا ثانية؟).

أعطيت احتمالات محددة لليقين الذي ستكوّنه طفلتي

حينما تقرأني بعد عشر سنوات أو أكثر

مجنون .. مُنحل .. بائس لم يكن ينبغي أن يعيش بعد عام 1989

لن تذكر شيئًا عن الحرب أو الخراء أو المرايا المفتتة

لأنه لم يكن هناك بالفعل حرب أو خراء أو مرايا مفتتة

هناك عجوز دائم السرقة بعينيه

يتظاهر أنه لص حقيقي

رغم نظرته الثابتة التي لا تأكل إلا نفسها.

لن تذكر شيئًا عن الدماء

التي كانت تسيل من ضحكاتي

وهي تدغدغني كل مساء قبل النوم.

لكنني أتمنى أن أنجح في خداعها

قبل أن ترفع خنصرها الضئيل في وجهي للأبد.

ربما أجعلها تحب (كافكا) أولا:

"ليس من الضروري أن تخرج من بيتك. لازم طاولتك واصغ. بل دع الإصغاء واكتف بالانتظار. بل دع الانتظار واكتف بالعزلة، فالعالم سيحضر واهبًا نفسه إليك، كي ترفع عنه أقنعته، ومنتشيًا سيتلوّى أمامك".

أو (كيركيجور):

"ليس لي إلا صديق واحد فحسب ذلك هو الصدى .. ولِمَ كان الصدى صديقي؟ لأني أحب آلامي وهو لا يسلبني إياها .. وليس لي سوى شخص واحد أودعه سري: ذلك هو صمت الليل! ولِمَ كان مستودع سري؟! لأنه يصمت!".

وربما (بودلير):

"ـ آه من تحب إذن، يا أعجب الغرباء؟ ...

ـ أحب الغيوم .. الغيوم التي تعبر .. هناك .. هنالك .. تلك الغيوم الساحرة!".

...

ربما يستطيع عواء أي منهم أن يسحب ابنتي

إلى تلك الصدوع المختبئة في الهواء

فتجدني مقيمًا هناك

كشبح سقطت أشلاؤه من فم أبيها

وهو يلعق بدقات قلبه

الفرج المسدود لساعة الحائط

التي يملأ شعر عانتها الخيال

قبل أن تتكفل العتمة بتجميعه.

نعم يا حبيبتي

ستقدرين على الجلوس فوق فخذيّ الشبحيتين مثلما تحبين

وسيمكنك أيضًا أن تعطيني القبلة المعتادة في خدي الشبحي

ـ سنستطيع أن (نتشبث) في البرد أيضًا ـ

وستظلين كما أنتِ

الحلم الشهواني

العابر في سلالة الاستعراضيين

مواصلا التلفت في مكانه.

الروح الشريرة التي بترت أطرافي

مدمنة الاغتصاب من حسن الظن.

الإثم الأعظم

الذي حوّلني إلى صورة منتحرة لجميع الآلهة.

ستحتفظ المتعة المتفاخرة بجسدي

وأنا أراقب كوابيسي التي مرت إلى دمائك

وهي تنمو كنسخة كارتونية

من الملل الذي أصبح مرعبًا

بعد أن كان مجرد رعب ممل.

الكوابيس التي كان يمكن أن تنتهي

بمجرد التوقف عن التفكير في نفسي

كمركز معطّل لهلاوس العالم.

سنواصل الحكي عن غموض المدن

عن التماهي الصامت مع الظلال القديمة

عن استمناء الشيطان للتراجيديا

عن التلصص على النسيان

الذي قد ينقذ مصيرنا.

ربما ستحبين (سيوران) أيضًا:

"إذا كان الإنسان يفرض على نفسه الإيمان بأشياء معينة، فهذا فقط لكي لا يقتل نفسه. لأن الانتحار هو النتيجةُ المنطقيةُ لحقيقة أن لا شيء يصمد أمام تحليلٍ صارم، أو تفكيرٍ قاس. من الغريبِ جدًا أن أكون قد تحدثت بهذا القدر عنِ الانتحار، أنا الذي أحب الحياة كأي شخص آخر، بل أكثر من أي شخص آخر".

أو (ريتسوس):

"رفضني الجميع
ورفضتُ كل شيء

وكل ما أحببت
أخذه مني الجنون والموت".

وربما (هنري ميللر):

"الشرط الوحيد الذي كنت أهتم لوجوده في أصدقائي، مهما كانت الطبقة التي ينتمون إليها أو مهما كان وضعهم في الحياة، هو أن أكون قادرًا على الحديث معهم بكل صدق .. إذا لم أنجح في فعل هذا، كنت أتخلص منهم".

...

ستفكرين معي في أن كل طفل يُرسَم

يعود إلى الرحم بطريقة ما

أو القبر البدائي كما سنسميه

سأشرح لكِ أن الكلمات مطاردات سرية

بين الغيوم والجدران

وأن الألوان رجاءات فكاهية

تراقب تبددها

في حكمة الضباب.

وحينما تسألينني عما إذا كان للعزلة ثديان كبيران

سأعرف أنك لا تقصدين تلك النائمة كقطة صغيرة فوق الطاولة

أو المغلقة بالأبواب والنوافذ في الليل

أو العائمة داخل السُحب الكثيفة

التي تُحرّكها الرجفات المختبئة قبل الغروب

بل التي يكتمها الشبق

وراء الضحكات غير المبررة.

هايكو الحنين

(1)
الغيوم تتحسس
ملامح الأعمى.

(2)
ظل تجمّد
في طريق ليلي
بعد انطفاء النجوم
في كراسة رسم.

(3)
عصافير الصباح الباكر
ترش الأغنيات عبر شباك المطبخ.
تنمو زهور البيچاما الصغيرة.

(4)
العامود أمام البيت
يُريح ضوءه الأصفر
فوق السرير المظلم.

(5)
الملابس فوق الحبال
تُعطّر الضباب.

(6)
مطر يلوّن
الصمت وراء النافذة
برائحة الحصة الأولى.

(7)
البرد يتظاهر
بأن جسدي لا يزال ملونًا
ويعوم في السماء
بالخيط الذي في يده.

(8)
قلب برتقالي
يمحو خطوط الرصاص
فتذبل الوردة الحمراء
النائمة بداخله.

(9)
جسر يطير
كأن شمس العصر
تتبادلها أقدام صغيرة
في نهايته.

(10)
يهطل النهار من الثلج.
الليل ينبعث من أوراق الفل.
تعود الشرفات من التمشية
إلى أحلام الشتاء.

(11)
يستيقظ الأرنب بجوار القضبان.
يدق على طبوله
فتدور عجلات القطار.
قلب يسافر
عبر شقوق الشيش.

(12)
كأن الحديقة
ابنة صغيرة للنهر.
كأننا القطط البيضاء
التي تربيها الحديقة.

(13)
كنا أرواحًا
تحاول الاختباء من أجسادها
وهي تلعب (الغميضة)

مع شجرة عجوز.

(14)
يتظاهر أحدنا أنه الموت
ويقف في منتصف البحر
ليمنعنا من العبور بين شاطئين
فتضحكنا خيبته.

(15)
تمتد السماء
من قصة مصورة
إلى ما وراء البيوت.
هناك
ينتظرني كوخ أزرق.

(16)
عينان فوق الوسادة
تُحضران طبقًا طائرًا
لهذه السماء البرتقالية.

(17)
زرقة السماء
على وشك الغياب.
أمشي فوق البيوت
كأن الأسطح الصامتة
مربعات رصيف.

(18)
أصعد السلالم المغلقة
في ضوء النهار
لأصل إلى البحر.

(19)
أخرج في الليل
من الصخب الملوّن
لحفلة المدينة

إلى ظلام جانبي.

(20)
ساحات مزدحمة
لكرنفال الظهيرة الشعبي.
بيوت وشوارع قديمة
تسبح في عينيّ النائمتين.

(21)
لا تزال المصابيح
تومض في الليل.
بعد ذهابهم
أجلس على جانب الطريق.

(22)
فوق الشاطئ
يقفزون من قلبي.
تدفعهم جبال الأمواج عاليًا
فيعيدهم الصدر المهيب للأفق.

(23)
هواء الشتاء
يُهيّئ الفراغ الواسع
لمطر العصر.
أحلّق فوق شريط القطار.

(24)
الظلام يطغي تدريجيًا.
تتحوّل البيوت
إلى مصانع شاحبة
للدُمى الكبيرة.

(25)
المطر المسائي
في نهاية الرصيف.
تسكن الأضواء الخافتة

ويتمطّى النهر.

(26)
ليل يمطر
أعبر شارعا خاليًا
قادما من ظلام غريب
نحو بيت لا أعرفه.

(27)
مدينة تختبئ في اليقظة.
تظهر في أحلامي
لتبحث عن طفل مفقود.

آلات الرجاء المكتوم

تحكين لي عن الأرملة العجوز

الأم لاثنين من المهاجرين

التي عثروا على جثتها فوق عتبة المطبخ

بعد يومين من الموت.

قولي لصمتك المرتعش هذا

أن يكف عن التوسل لي

قلبي ليس متحجرًا كما تعتقدين

وليست اللامبالاة القاسية هي التي تمنعني

من الاتصال بكِ مرة واحدة على الأقل في اليوم

مثلما تريدين أن تطلبي مني الآن.

أعرف أنكِ لو أخبرتيني صراحة بكلمات تشبه:

(لا أريد أن تنتهي حياتي مثل العجوز)

لطلبت منكِ ـ كالعادة ـ أن تعبري المطبخ سريعًا

كي لا يصطادك الموت هناك.

صدقيني

ليست متعة مفضلة لي

أن أحوّل خوفك من الموت وحيدة

إلى دعابة هازئة

أنا فقط أكثر رعبًا مما قد يخطر ببالك

حتى أنني لا أجرؤ على قبول الاطمئنان عليكِ كل يوم

كي لا يعد ذلك إقرارًا من جانبي

بثقتك في بقائي على قيد الحياة.

كيف تضمنين ألا يعتبر الموت اتفاقنا

إهانة لدهائه

ينبغي أن يعاقبنا على ارتكابها

فتضطرين للبحث عن أحد آخر

يتصل بك مرة واحدة يوميًا على الأقل

بعد إزاحة جثتي

من فوق عتبة ما.

هل تعرف صاحب هاتين العينين؟

لولا أني أخشى العواقب السيئة
وأنت تعرف أنني لم أعد أتحملها
لأظهرت صورتك الغائمة عند شاطئ البحر
التي أحتفظ بها على هاتفي
وسألت عنك سائق التاكسي
الذي يستمع إلى (الحب اللي كان)
والجالس وحده في المقهى
الذي يتلصص على الغروب من النافذة
والسائر دون رفقة
الذي تبطئ خطواته تلقائيًا أمام البيوت القديمة.
الملامح التي تدين بوجودها
لمضاجعات ناجحة في بداية الستينيات.
ربما شاركك أحدهم الجلوس ولو مرة واحدة
على الرصيف المقابل لكازينو (معروف)
وأنت تحرق سيجارة من أخرى.
أو شرب معك (ستلا) ذات مساء
تحت الإضاءة الخافتة
لفندق (القاهرة).
أو اقتسم معك إحدى الليالي
داخل امرأة.
ربما قال لي: نعم، أعرفه
وسأحكي لك عنه أسرارًا
ستعمل بقوة على تحسين موتك.
لا أستطيع ذلك
سيضحكون عليّ يا عم
رغم وحدتهم التي أراقبها كظل موبوء
أو بسببها تحديدًا.
ربما ستبتل سراويلهم من حسرتي
على كل متغيرات المدينة التي فاتتك
وسيفشلون في استيعاب ما يمكن أن أخبرهم به
عن الوحشة المتناثرة في القصص الجديدة
التي زرعها غيابك الطويل
عن المقاهي والنساء والحفلات الليلية
وأنني لم أنجح في الإبقاء عليك
بقدر ذكرياتك التي كان يجدر بي استكمالها.

أعرف أنك لم تعتمد عليّ في هذا النوع من الخلود
ولكنني أردت لآثارك الغامضة
أن تساعدني على ابتلاع العالم.
أنا الشحاذ الصامت
الذي غادر الحواف المائعة
دون أن يمر إلى أي شيء
ولا يعرف كيف يتسوّل واقعية لخياله
تحوّل أكاذيبه إلى قدَر آخر.
لو كان النجاح في هذا، على الأقل
مجرد احتمال
لما كنت في حاجة للاحتفاظ بصورتك الغائمة عند شاطئ البحر
ولما رغبت إلى هذه الدرجة في إظهارها
لمن أظنهم نسخًا منك
ولكان بمقدورنا حينئذ
أن نضحك بنقاء كامل
لأنني أصبحت أكبر منك بست سنوات
بعد أن كان الفرق ستة عشر لصالحك.

المبالغة في تبسيط اللعنة

ما الذي أفعله الآن!

إنه فقط ما كانت تقوم به بعض الخيالات المضحكة

بعض الخيالات التي لا تعرفونها

إذ كان ينقصها قليل من المعجزات الصغيرة

لتتحوّل إلى سردية كبرى

يتكفل بحمايتها قطيع مستقبلي.

كان يعوزها شيء من رتابة الموتى

لتتحوّل إلى حكاية هامشية

يتعثّر بتآكل خيوطها

الحفّارون في النسيان.

أنا نفسي كلما اقتربت من ذلك الأورجازم الركيك

الذي يُسمى (نهاية الحياة)

يزيد ارتيابي في أن هذه الخيالات كانت تعيش هنا

داخل هذا الشق المظلم بين جدارين.

ما الذي أفعله الآن!

لأكن دقيقًا

إنه فقط ما كان ينبغي على بعض الخيالات المضحكة أن تقوم به أكثر

بعض الخيالات التي ربتني لسنوات طويلة

داخل قفص البلاغة

حيث تعلمت طبخ الميثولوجيا

بأقل المكونات

مقابل أن أنمو كجثة

لكنني لم أتدرب جيدًا على العمى

فعدت في منتصف الطريق

إلى حفلة المطلق.

الخيالات المضحكة التي كنت أتلصص على رقصاتها

قبل أن تختفي

وعرفت أنها تفضل البقاء داخل هذا الشق

بعد أن جربت الخروج

مرة بعد أخرى

وكانت تتأكد دائمًا أنها لا تصلح لتلك المقامرة.

أعتقد أنني ـ مهما يكن ـ إنسان طيب جدًا

طيب جدًا لدرجة أن بإمكاني تدنيس أي لاهوت

لذا يروق لي ـ دون أدنى شعور بالذنب ـ فضح المجازات السابقة:

الخيالات: الأب (رزق رزق سعيد) .. الأم (نثرية محمد حنفي) .. الإخوة (ماجدة ـ مجدي ـ مدحت).

الشق المظلم: البيت (54 شارع محمد فريد ـ خلف السنترال / المنصورة).

الجداران: الميلاد والموت.

ما الذي أفعله الآن!

إنني فقط أبقى في البيت

مثلما كانوا يبقون

مثلما كان ينبغي أن يبقوا أكثر

بيني وبينكم وأرجو ألا تخبروا أحدًا بهذا

كان الواحد منهم يخرج من الباب

بالضبط كأنه يقول:

(سأترككم لبعض الوقت

فأنا ذاهب لتجبير خاطري)

ثم يعود حاملاً التمثال الحجري الجديد

مطموس الملامح

الذي سقط فوق رأسه اليوم

ويضعه ـ بلا كلمة واحدة ـ داخل مخزن التماثيل الحجرية المطموسة

المختبئ في ضباب سريره

مخزن التماثيل الذي ـ للأسف ـ لم يتحوّل إلى متحف في نهاية الأمر.

(أين ذهب خاطرك المكسور؟)

كان يمكن أن يسأله أحدنا سؤالاً كهذا بقصدٍ متغيّر

وكان يمكنه أحيانًا أن يجيب بانفعالات متباينة:

(لقد اصطاده أحد التائهين

الذي يحتاج لاستراحة فكاهية

بين هاوية وأخرى

وأظن أن بمقدوري استرداده غدًا).

أفكر الآن في كليشيه مُسيء للشعر

مُسيء للتاريخ الموسيقي لسقف الحلق

(أتحسّر على ضياعكم)

لكنه ليس مُسيئًا للخداع

فأنا أحب الحسرة

أعيش على الحسرة

الحسرة هي التي تُبقيني حيًا

الحسرة هي التي تُعطّل موتي

الحسرة هي التي تُهيّجني

الحسرة هي التي تجعلني أستمتع بالجمال

الحسرة هي التي تجعلني أتلذذ بالرعب

الحسرة هي التي تجعلني أفرح بخيبات الأمل

الحسرة هي التي تجعلني أنتظر

الحسرة هي التي تمنعني من قتل الآخرين

الحسرة هي التي تُطمئنني

الحسرة هي التي تحمي بصري

الحسرة هي حكمة الحنين

لأنني لست مجرد نوستالجي آخر

أنا ـ فقط ـ أريد ثمنًا للماضي

الثمن الذي لم تأخذوه قبل تبخّر متعاقب

رغم أرواحكم التي أهلكها الصراخ على نفسها.

حقًا لا أفهم

أو ـ على نحو أصوب ـ لا يمكنني التصديق

كنتم مزيجًا فريدًا من الفضائل المبهرة

لديها مشكلة واحدة فقط تطغى على كافة الأعاجيب:

ما هي الكلمات الأجدر بالتعبير عن الثقة الذاتية في إدراكنا للحقيقة

(نحن نفهم الحياة) أم (نحن نعرف العالم)؟

كيف لم يتم احترام ذلك إذن؟!

منذ سنوات بعيدة

أي أنها أقرب من أن تتوارى خلف حاجز ممكن

كان هناك طفل

يتصوّر أن للكون قلب ضعيف لا يتحمّل

وقد ينتظر ذروة مبهمة

حتى يوقف الكوميديا

التي تمادت ربما دون توقع.

كان يتصوّر أن ثمة خطوة غامضة

هنا أو في مكان ما

لابد أنها عندما تتجاوز الحد المسموح به للخطأ

ستجبر الزمن على استخدام المكابح

استجابة لخروج الحياة

عن الفكرة الرومانتيكية

وأن الغيب ـ عندئذ ـ سيتخلص مع فرقعة إصبعين

داخل الفضاء المعتم

من ذاكرته البريئة

ليعيد ـ كنوع من الاعتذار ـ إنتاج القدر

بما يسمح للخيالات ألا تكون مضحكة

وألا تعيش في هذا البيت

وألا تظل عالقة بين الميلاد والموت.

كان يظن ـ لأنه طفل على أي حال ـ أنها ستتحوّل إلى ملائكة أسعد حظًا

من مخلوقات النور المجنّحة

التي لم تجرّب السحر البشري

حيث سيكون بوسعها أن تستعمل للأبد ما كانت تمتلكه

حينما كانت مجرد خيالات مضحكة

لكن دون هاجس عابر عن الثقوب.

طوال الطريق ـ الذي لم ينته بعد ـ نحو السعادة الكاملة

ظل الاستعراض متفاخرًا

تحت فراغ أزلي

مغلق بالوعود

والطفل يتلصص على الرقصات

بعيونه غير المرئية

التي تطير بحواف مسنونة تحت الجلد

لتكوّن شقوقًا وفجوات

تشبه ظلالاً لغابة مجهولة

حيث تتناثر الأصوات التي ترعى النار

فيكبر الطفل مع التصاعد التراجيدي

وتتلاشى الخيالات المضحكة تباعًا

دون أن تخرج خرافة من السماء

على شكل يد مثلاً

كمصافحة ختامية

يمكن تفسيرها علامة للأمان.

كان كل وداع يبدو

كجفاف بصقة

قُذفت دون انتباه في البحر

وظلت تطفو لثوانٍ قليلة

ستُسمى عُمرًا.

البصاق الذي يشبه الدموع

والبحر الذي يشبه احتمال

لن يمكنك أن تجبره على النظر في عينيك

والثواني التي تشبه دعابة رديئة.

أكثر ما يُعذبني حقًا

أنني أتكاسل دائمًا عن وضع الكاميرا أمامي وأنا جالس يوميًا هنا

حيث رأسي التي تماثل مُسجّلاً بزر إيقاف معطل

تعيد طوال الوقت

أصواتكم المتحاربة دفاعًا عن الأساطير

التي خُلقت وأنتم نائمون في العدم

ربما ليس الكسل

وإنما النسيان

ربما لا أمتلك الشجاعة لتصوير نفسي وأنا جالس يوميًا هنا

كمصاب بإعاقة خفية

تدفعني للبكاء كلما أردت الضحك

أمام اليقين الغاضب الذي كان يضاجعكم في الداخل

الفقاعات المقدسة التي تتدافع من أفواهكم البركانية

المتجذرة في عقلي

حيث يجذبني من ضربات قلبي إيمانكم بالعتمة

محافظًا على شبقه القديم

ويسحبني بين الأثاث

ثم يلقيني من الشرفة.

لا أستطيع توثّيق هذا الاستمناء

حتى أشاهده بعد ذلك كمتفرج خجول

يخشى الصفعات التي لم تنجح في قطع يده.

سأكون كاذبًا لو قلت أنني أقصد الكتابة عن البقاء في البيت

أي عن ضرورة الجلوس وحيدًا في ظلام شق مختلف

ربما أقصد التركيز على تشابك الذرعين فوق الصدر

الذي ترتجف وراءه الغيوم

أثناء الجلوس داخل نفس الشق

لأنه يتمدد كلما تحركت من بيت لآخر

كأن الغيوم التي وراء صدري

هي بؤرة ظلامه.

ربما أقصد أن الخيالات المضحكة مازالت تعيش هنا

وتحتجزني حتى هذه اللحظة

وأنني مازلت أتلصص على رقصاتها

دون احتياج لذاكرة

حيث جسدي هو سرديتهم الكبرى

التي لن يحميها البقاء في البيت كثيرًا

جسدي هو حكايتهم الهامشية

التي لن يتعثّر ضوء ما بظلامها.

ربما أقصد الصمت.

ما يُضرب به من جلْدٍ، سواء أكان مضفورًا أم لم يكن

نساء (رامبرانت) اللاتي مازلن في انتظار عشاقهن على الحائط

ولا يكملن التعري للأسف.

تلاميذ الابتدائي في بداية الثمانينيات

الذين لم تتبدد ابتساماتهم حتى الآن

رغم التراب والإضاءة السيئة.

فروع اللبلاب الذي زرعته للمرة الأولى منذ ثلاثين سنة

داخل إحدى شرفات Mary Poppins.

المصابيح الصغيرة

التي تحتاج لحرمان الأنوار الساطعة مؤقتاً من الحياة

كي يتمكن صوتها الضعيف من الاعتذار

عن الإضاءة في الوقت الخاطىء.

والساعات .. بالطبع

اللحظات التي تمر كأنها بلا حواس

أو تعبر فراغاً طويلاً.

لا أثق في تلك الأزمنة

المعلّقة على المسامير

ليس لأنها مرفوعة فوق صلابة زائفة

حيث يمكن للذاكرة أن تتهاوى لأي سبب

بل لأنها تستند إلى ثبات حقيقي

يجعل من سقوط اللوحات والصور والنباتات والمصابيح القديمة

مفاجأة نادرة

صدفة شكلية لا تهدد السحر

الذي يمكنه استعادة السماء فوراً

كأن العالم يمكن تعريفه بالهواء الممغنط

أو بالجاذبية المضادة.

الماضي المنتصب

الذي لا يتفاوض حول استجابات أخرى

كعجوز أعمى

يسترد طفولته كلما تخيل وجهي

أو أنه مثلما أعتقد

يراني جيداً.

إيلان

لا يبدو ميتاً

فهكذا ينامون في أسرّتهم

أو في رسومات (ميكي)

أو في أفلام mbc3

ربما الأطفال هم أكثر من يمحو نومهم الفرق

بين حجرات النوم، والقصص المصورة، والكرتون

والبحر.

حتى يبدو كأنه يحلم

وأن أصابعه الصغيرة سترتعش للحظات

مع أنين خافت

تأثراً بمشاهد لن يتمكن من وصفها جيداً حينما يستيقظ

ثم يسترد استكانته.

حتى يبدو كأنه سيصحو الآن

وينادي على أمه أن تحضر له بسكويت (كتاكيتو) سريعاً

قبل أن يجري ليركب دراجته

ويتجول بها داخل البيت

واضعاً قطته في سلتها الخلفية.

كأنه سينتبه إلى جيفة ثقيلة

ممتلئة بالقيء

تنظر في اتجاه آخر

فيقرر أن يتوقف ويسألها:

(هل في السماء مكان للعب بالدراجة بعد الموت؟).

(هل سيتمكن من الاحتفاظ بـ "مشمش" هناك؟).

(ما هو شكل "ربنا"؟).

أحاول أن أتخيل في صمت

ظلاماً لا يغرق.

ممدوح رزق

كاتب وناقد مصري

ولد في (المنصورة) 1977

ترجمت نصوصه إلى الإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

يقوم بتدريس القصة القصيرة في ورشته للكتابة الإبداعية.

شارك في تحكيم العديد من جوائز القصة القصيرة.

شارك في العديد من الملفات الثقافية بالصحافة العربية.

ألقى العديد من المحاضرات حول الكتابة والنقد الأدبي بمؤتمرات ومراكز ثقافية مختلفة.

ينشر ترجماته للقصة القصيرة في المطبوعات الثقافية العربية.

كُتبت العديد من الدراسات والقراءات النقدية عن أعماله.

اختيرت قصته القصيرة "اللعب بالفقاعات" ضمن المجموعة القصصية التي تُدرّس لدارسي اللغة العربية، غير الناطقين بها، كنموذج للقصة العربية المعاصرة بجامعة ييل الأمريكية.

اختير كتابه "هل تؤمن بالأشباح؟" عن كلاسيكيات القصة القصيرة كمرجع دراسي لطلاب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الأقصى.

ينشر نصوصه ودراساته في الأدب والفلسفة والسينما والتحليل النفسي والمسرح والفن التشكيلي والتاريخ الثقافي في العديد من الصحف والمجلات والدوريات والملاحق والمواقع الأدبية.

كتب:

ـ مطاردة الغياب / قراءات نقدية ـ ـ دار ميتا للنشر والتوزيع 2021

ـ مقتل نجمك المفضّل / نوڤيلا ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2021

ـ ولقلبي سواده الفاتن / قصص قصيرة ـ مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع بالعراق 2021

ـ نقد استجابة القارئ العربي / مقدمة في جينالوجيا التأويل ـ دار ميتا للنشر والتوزيع 2019

ـ المطر في كارمينا بورانا / قصص قصيرة ـ دار ميتا للنشر والتوزيع 2019

ـ تشارلز بوكوفسكي .. ما وراء اللعنة، وقراءات نقدية أخرى ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2019

ـ جرثومة بو / نوفيلا ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2018

ـ إثر حادث أليم / رواية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة إبداعات قصصية) 2017

ـ خيال التأويل / قراءات نقدية ـ مؤسسة نور نشر الألمانية 2017

ـ هل تؤمن بالأشباح؟ / قراءات في كلاسيكيات القصة القصيرة ـ دار ميتا للنشر والتوزيع 2017

ـ هفوات صغيرة لمغيّر العالم / قصص قصيرة ـ منشورات بتانة 2017

ـ خيانة الأثر / الدراسة الفائزة بجائزة المقال النقدي بالمسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة 2016 ـ دار ميتا للنشر والتوزيع 2016

ـ عتبات المحو / مقالات في النقد التطبيقي ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2016

ـ دون أن يصل إلى الأورجازم الأخير / قصص قصيرة ـ مؤسسة المعبر للثقافة والإعلام 2015

ـ بعد صراع طويل مع المرض / شعر ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2015

ـ فأر يحتفل بخطاب الحقيقة / مسرحية ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2015

ـ الفشل في النوم مع السيدة نون/ رواية ـ دار الحضارة للنشر 2014

ـ مكان جيد لسلحفاة محنطة / مجموعة قصصية ـ سلسلة حروف (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 2013

ـ الخبراء في الحياة / مسرحية من فصل واحد ـ دار ميتا للنشر والتوزيع 2013

ـ عداء النص / مقالات نقدية ـ دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني 2013

ـ صندوق الذكريات / مجموعة قصصية للأطفال ـ دار عرب للنشر والتوزيع 2013

ـ خلق الموتى / رواية ـ سلسلة إبداع الحرية 2012

ـ قبل القيامة بقليل / مجموعة قصصية ـ دار عرب للنشروالتوزيع 2011

ـ سوبر ماريو / رواية ـ دار ميتا للنشر والتوزيع 2010

ـ بعد كل إغماءة ناقصة / نصوص ـ دار المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات 2009

ـ السيء في الأمر / نصوص ـ دار أكتب للنشر والتوزيع 2008

ـ رعشة أصابعه .. روح دعابة لم تكن كافية لتصديق مزحة / نصوص ـ مكتبة معابر الإلكترونية 2004

ـ جسد باتجاه نافذة مغلقة / مجموعة قصصية ـ سلسلة أدب الجماهير 2001

ـ احتقان / مجموعة قصصية ـ سلسلة إبداعات (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 2001

ـ انفلات مصاحب لأشياء بعيدة / مجموعة قصصية ـ مطبوعات إقليم شرق الدلتا (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 1998

كتب مشتركة:

ـ يوم واحد من العزلة / مجموعة قصص قصيرة جدا مع كتّاب عرب ـ دار فراديس للنشر والتوزيع 2013

ـ الكاتب وتحديات اللحظة الراهنة / دراسات مؤتمر اليوم الواحد لاتحاد الكتّاب مع نقاد مصريين 2012

ـ النمو بطريقة طبيعية / مجموعة قصصية مع كتّاب مصريين ـ دار ملامح للنشر 2009

ـ العامية كنز الإبداع / دراسات الملتقى الثاني للمّة بيت العامية المصرية مع نقاد مصريين 2009

ـ ملامح وعرة / ديوان شعر مع الشاعرين السوري (عبدالوهاب عزاوي)، والعراقي (صلاح حسن) ـ اتحاد كتّاب الانترنت العرب 2005

أفلام:

ـ قصة فيلم (مكان في الزمن) / روائي قصير ـ إخراج: نواف الجناحي 2019 / عُرض بمهرجان شيكاغو السينمائي الدولي 2020

ـ قصة وسيناريو فيلم (إخفاء العالم) / روائي قصير ـ مع فناني أفلام اسكندرية المستقلة / إخراج: محمد صبري 2012

ـ سيناريو فيلم (من أجندة الخيانة) / روائي قصير ـ بالاشتراك مع المخرجة الإماراتية (منال بن عمرو) / مجموعة دبي للأفلام ـ إخراج: منال بن عمرو 2008 / شارك بمهرجان الخليج السينمائي 2008

ـ قصة وإخراج فيلم (بازل) / موبايل ـ شارك بمهرجان القاهرة لأفلام الموبايل 2008

جوائز:

ـ جائزة المسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة عن المقال النقدي (خيانة الأثر) 2016

ـ القائمة القصيرة لجائزة (ساويرس) في القصة القصيرة عن مجموعة (مكان جيد لسلحفاة محنطة) 2015

ـ جائزة اتحاد كتّاب مصر عن قصة (دخول المرآة) 2014

ـ جائزة نادي القصة عن قصة (إنقاذ جيروم) 2013

ـ جائزة رابطة الأدباء العرب عن قصة (التخلص من الذباب) 2013

ـ جائزة (أحمد بوزفور) المغربية في القصة القصيرة عن قصة (إنقاذ جيروم) 2013

ـ جائزة شبكة المنصورة الإخبارية في القصة القصيرة عن قصة (الثقب الذي لا يعنينا في الساحر الطيب) 2012

ـ جائزة دار ملامح للنشر في القصة القصيرة عن قصة (النمو بطريقة طبيعية) 2008

ـ جائزة ملتقى مدد في الشعر عن نص (نار هادئة) 2007

ـ جائزة منتدى جريدة شروق الإعلامي الأدبي في القصة القصيرة عن قصة (بلا أدنى خجل) 2006